ما أكثرَ الشعر وأقلَّ الشعراء!

باسم المرعبي

لا رواج لكتب الشعر، غير أن الأمر لا يُقاس أو يُحسب هكذا، ثم انه ليس بالشيء الجديد، أي كساد سوق الشعر، وان كان في تفاقم، وهو على أية حال، غير مقصور على عالمنا العربي، هذا اذا أغفلنا الجذر التاريخي للموضوع، بل هو ظاهرة عالمية، وان تفاوتت درجته من مجتمع الى آخر، حسب تقدم ذلك المجتمع أو تخلفه، واحتلال مسألة الثقافة حيزها الخاص لديه، فقد تأتي في سلم الاولويات، أو تنحدر الى الحضيض كما في المجتمعات التي يأخذ السعي فيها، وراء لقمة العيش كل مأخذ، فيغدو والحال هذه، التفكير بالكتاب، أو القراءة عموما ضرباً من الكفر.

انّ من يقول بموت الشعر، أو بلهجة أقل قسوة، تراجعه، يقرر ضمناً ان ذلك قد تمّ أو يتم لمصلحة السرد، أو حصراً الرواية، وكأن هذه لا تستطيع تحقيق وجودها وازدهارها إلا بسحق الشعر والتقدم على جثته. لكن في الحقيقة، لا الشعر أضحى جثة ولا يمكن أبدا أن يصبح كذلك، ما دام هناك نفس يصعد وينزل في هذه الأرض، ولا الرواية بُعثت فجأة مثل عنقاء من بين رماد العصور أو من مداد مؤلفين شيطانيين.

صحيح اننا نشهد اليوم، اهتماماً أكبر بالسرد لكن هذا الاهتمام لم يكن غائباً في يوم ما، غير انه قد يكون تعزز أكثر في ظل ما يسمى بانفجار المعلوماتية، وفي رأيي، ان من يطلب السرد، انما هو يطلب، بالدرجة الأساس، أخباراً ومعلومات وقصاً، هذا القص لا يُطلب، بالضرورة، لذاته كـ فنّ معمار لغة وانشاء عبقري يُثري اللغة ويثرى بها، ودليلي على ذلك،

I

بشيء من اليأس المطمئن، ثمة من يردد، وربما بإلحاح مقولة موت الشعر.

هذا التصور مبني في الأساس على معطيات السوق، اذ هو مثال له خصوصيته ومقصور على الاهتمام الغربي المتزايد بـ الحكايات الآتية من الشرق، اهتمام يقوم في أساسه على فضول للإحاطة بالمجتمعات الشرقية و تقصي أحوالها، خصوصاً، اذا كانت منقولة عبر سرد يفوح بروائح المحرم والممنوع والمكبوت، والمنذر، ابداً، بوقوع انفجارات، انفجارات لا يكون مجالها في الجمالي والإبداعي، بل تتجلى بشكل انهيارات اجتماعية وثقافية او احتقانات تتشظى في ما بعد، حرائقَ، ناثرة الرعب والدمار بشكل جنوني أعمى.

II

قد يكون السرد الفائح بروائح الجنس والإثارة والصبغة البوليسية، هو الذي يحصد العدد الأكبر من القراء، شرقاً وغرباً لكن السرد الرصين له جمهوره بطبيعة الحال، وهو الجمهور الأهم، لأنه لا يبحث عن متعة عابرة في القراءة، بل هو جمهور يحركه وعي وشغف متأصل بالأدب، وهو أشبه ما يكون بجمهور الشعر، هذا اذا آثرنا الحديث عن التخصص، وقصرنا كلامنا على الشعر، الذي لا يكسب جمهوره بسهولة، لكن بالمقابل، لا يخسره ابداً، فقارئ الشعر ذو خصوصية تامة، انه مثل الشاعر متورط بالشعر حتى آخر كلمة على لسانه أو في قلبه، فمن يمسه الشعر يبقى ممسوساً به الى الأبد، كمن تعمد قلبه بماء الجنون أو الحكمة.

لكن أين هو الشاعر؟

فما اكثر الشعر وأقلّ الشعراء!

ليس من خطأ في العبارة، فما أذهب اليه، هنا، لا يندرج تحت طائلة التذمر السائد من كثرة «الشعراء» وقلة الشعر، وهي حقيقة، فلا شأن لي بذلك، لا شأن لي بالشعر الرديء الذي ينتحل اسم الشعر زوراً وعدواناً، ما أتحدث عنه شيء مختلف، انني أتحدث عن الفصام بين الشاعر والنص، عن خيانة الشاعر ذاته أو حتى الشعر!

هناك شعر جيد كثير، لكن ليس هناك ما يوازي ذلك من الشعراء.

انني أتحدث عن تلك الروح التي ينبغي للشاعر أن يتحلى بها، عن تلك الخصال التي يحوزها الشاعر كمعجزات، حين نُبقي على شعلة الطفولة وروح الشعر متقدة في دواخلنا ولا نردمها بنثر الحياة وقلبها البارد.

.....

لطالما اقترن الشعر بالجنون والسحر.. انه التفتق الثمل لأزهار الروح المأخوذة بما هو غير مرئي وغير محدود، لكأن الشاعر كائن من عالم علوي، أو هو ما يفترض، واذا رأيت شاعراً يتبطل ويتبذل في الأماكن العامة، فقل هذا، ليس بشاعر، أو في الأقل، في لحظته تلك التي يتخلى فيها عن طينته المفخورة بشرار علوي، ليتمرغ في غبار اليومي الذي يدنس بذرّاته اهاب تفرده وعزلته المفترضة.

.....

مصادر الشاعر سرية، وهو بذلك لا ينفصل عن عالم الغيب، وفي هذا السياق تندرج محاولة ابن شهيد الاندلسي في رسالته المسماة: التوابع والزوابع التي يصف فيها بلاد الجن ويسمي توابع كبار الشعراء في الجاهلية والاسلام.

وفي نفس المعنى تصب الأخبار في كتب الشعر والأدب لتفيد، ان الجن هي التي وضعت قصيدة ابن زريق البغدادي الشهيرة، تحت وسادته حين قضى في أحد خانات المغرب وحيداً، كنهاية تليق بشاعر أو عاشق اسطوري محفوف بالأسرار.

ان الغموض ليسربل الشاعر من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، مثلما يحيط هذا الغموض بمصادره وآلية عمله، وهو ما أشرت اليه من خلال مثالي ابن شهيد الاندلسي و ابن زريق البغدادي، السابقين. لكن يجب التأكيد على ان الشعر، ليس هو الشاعر، اذ لا بد من الفصل بينهما، وما ذلك إلا لأني اربأ بالشعر أن يكون نهباً لليومي ومعاركه. فلا أرى ان الشاعر هو الذي يجلس الى طاولة الوظيفة، بل هو شبحه، وليس هو الذي وراء مقود سيارته أو الذي يتفقد قائمة المشتريات اليومية المنزلية، خوف أن يكون قد نسي شيئا منها، واذا وجدت شاعراً متلبسا بذلك، فلن تجده الا ذاهلاً!

على ان هذه الأفعال تبقي مسالمة وانسانية وربما شعرية ، اذا ما قورنت بشعراء لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً!

وهذا ما عنيته بقولي، الشاعر ليس هو الشعر، فالكثير الكثير من الشعراء غير جديرين لأن يكونوا مرآة للشعر.. ما أحرانا اذن بتهشيم هذه المرآة!

اذاً متى يتماهى الشاعر مع نصه وبه؟

حين لا تكون له حيلة، سوى أن يكون هو ذاته في النص والحياة، حين يرى بضوء قلبه ويعبد هذا الضوء، كمأخوذ، كفراشة تمضي الى حتفها مقطوفة بلهب الجمال، عندما تتلاشى الحدود بين الشعر والشاعر ويكون كلاهما هو.

ولا أعتقد، هنا، ان فكرة اعتبار الشاعر كائناً خارقاً، فكرة ميثولوجية فهو يحوز ما يجعله خارقاً حقاً وهو ترفعه عن كل ما يتكأكأ عليه الآخرون، بعمىً.

فالشعر لا يمكن أن ينشغل بما هو عابر، بل أكاد أقول انه يمشي مغمض العينين الى هدفه الأخير: الجمال. مغمض العينين، لكن بقلب يقظ، صاح، لئلا يلتفت الى أي شيء من شأنه أن يشغله عن مهمته هذه، والتي لا يمكن ان يصل اليها أو يشرع، أصلاً، بالمسير صوبها، دون هذا القلب الجسور.

تعقيب

مأزق أدباء العراق

طه حامد الشبيب

ليقودوا مسيرته واجب لا ينبغي له ان يقعد عنه.. وارجو من صديقي الاستاذ الفريد الا يفهم بأني انما اتبنى نتيجة التقويم التي خرج بها الاستاذ باسم.. بل اني اقول ان هذا من حقه وعلينا ان نحترم حقه.. اما المطالبة بإجراء الانتخابات فاني لا استغرب فعلا ان يمتعض منها السيد الامين العام.. هل يعتقد ان الهيئة العامة قد انتخبته وزملاءه في المجلس المركزي ليبقوا في مواقعهم الى الأبد.؟ لقد انتخبتهم الهيئة العامة في صيف ٢٠٠٤ على امل ان تجري انتخابات جديدة في صيف ٢٠٠٧ بعد انتهاء الدورة الانتخابية.. وليس من حقه اذن ان يطالب وهو عضو هيئة عامة، بإجراء الانتخابات بعد ان أوشكنا على الدخول في عام ٢٠٠٩؟.

لقد لفتني ان الاستاذ الفريد قد كرر اكثر من مرة في مقاله بانهم منتخبون أي لا ينبغي المساس بهم حتى قيام الساعة، نعم ايها الصديق الفريد.. انتم منتخبون وانتهت ولايتكم في صيف عام ٢٠٠٧ بمعنى آخر ان وجود الهيئة الادارية الحالية غير شرعي منذ صيف ٢٠٠٧ وان كل ما قاموا به باطل قانونيا منذ ذلك الحين.

المشكلة اننا نحن ادباء العراق جميعا في مأزق وليس الزملاء في الهيئة الادارية وحسب.. فنحن جميعا امام المسؤولين في الدولة العراقية بلا ممثلين شرعيين.. وغير الجهات الرسمية العراقية هناك المؤسسات الثقافية الاقليمية والعالمية.. كيف نمثل فيها ومن مثلونا غير شرعيين، انتهت ولايتهم منذ ما يقرب السنتين؟

هذا المأزق يجب ان يوضع له حد، وعلى الفور، فاما ان تمدد الهيئة العامة للزملاء الحاليين في الادارة، تمديدا قانونيا تحت اشراف لجنة قضائية، واما ان تجرى انتخابات عامة كما يحدد ذلك النظام الداخلي للاتحاد..

اذن فلا ثالث لهذين الحلين.

سررت وانا أطالع مقالا كتبه الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي اذ اثبت لي بالملموس ان ثمة من يمزق من حوله شرنقة السلبية قال لنا في مقالة انه معني بما يجري وعلينا جميعا، نحن زملاءه في الهيئة العامة، ان نكون معنيين ايضا.. هذا كل ما قاله بايجاز.

بعد ايام طالعت مقالا على صفحات جريدة المدى الغراء ايضا يرد فيه الزميل الشاعر الفريد سمعان الامين العام للاتحاد على ما جاء في مقال الاستاذ باسم فلم أسر كثيرا اذ بدا لي الاستاذ الفريد كأنه ينافح عن عرين، فقد ذهب بعيدا، وبعيدا جدا حين اتهم الاستاذ باسم بانه مدفوع من قبل (مغرضين وكذابين ومزورين) لا لشيء الا لانه ابدى رأيا في اداء الهيئة الإدارية للاتحاد وطالب باجراء الانتخابات. طيب.. أليس هذا من حق عضو الهيئة العامة.. لا بل من واجبه؟ فمن واجب عضو الهيئة العامة ان يقوم اداء من انتخبهم

قصيدة (خلف السدة) لعبد اللّه صخي

جمعة الحلفي

عندما أنهيت قراءة رواية عبد اللّه صخي (خلف السدة) الصادرة مؤخرا عن دار المدى، تكون لدي انطباع بأنني قرأت قصيدة وليس رواية. هذا ليس مديحا بالضرورة بل قد يكون توصيفا قابلاً للنقاش. خلف السدة عمل روائي يستند الى ذاكرة (مفكرة) طفولية تنضجها جسامة ومأسوية الأحداث، إذ ليست كل طفولة صالحة للروي.

عبد الله صخي عتق فكرة الطفولة- الرواية نحو ربع قرن من الزمن ثم أعاد إنتاجها بطريقة بدت معها وكأنها سيرة حياة تبدأ ولم تنته لا في المتخيل ولا في الواقع. لهذا تبدو النهاية التي يقترحها عبد الله لروايته وكأنها (أو أنها) البداية الحقيقية للسيرة وليست نهاية لها.

تنغش رواية خلف السدة ذاكرة جيل تكاد أن تندثر أو يطويها النسيان في خضم تراكم الأحداث الجسام التي مر بها العراق، خلال العقود الماضية. فهي تتناول حقبة تاريخية (تأسيسية) في حياة الدولة العراقية فتؤرخ لبدايات الهجرة من الريف الى المدينة (العاصمة) وتغطي، في سياقها الفني أحداثا وتطورات شكلت، فيما بعد، أرضية لمسار الخراب الذي شهده العراق خلال العقود التالية.

وقد لا تبدو الرواية معنية كثيرا بالتأرخة لتلك الأحداث والتطورات، عنايتها بالحدث الخاص بها وبشخصياتها، لكن بوسع القارئ أن يلمح تأرخة ضمنية مضمرة ومتساوقة مع خصوصية هذا الحدث ومع مصائر شخصياته.

يسبر عبد الله صخي دواخل وأعماق الشخصيات في (خلف السدة) بطريقة غاية في الرقة بحيث تبدو هذه الشخصيات أحيانا وكأنها تتحرك داخل فقاعة اللغة. لم يسمح عبد الله لهذه الشخصيات بالحركة خارج النطاق الذي رسمه لها فبقيت مقيدة مع أنها شخصيات ممتلئة بالحزن والخيبة والجزع والجنون وكل ما له صلة بحياة الكد والعوز والبؤس التي كانت تعيشها.

يحاذر عبد الله، كما هو واضح، من تأرخة الأحداث السياسية (ثورة تموز ٥٨ انقلاب شباط ٦٣) أو من الإشارة الى الأسماء الصريحة لأبطال هذه الأحداث (الزعيم عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف، حزب البعث، صدام حسين الخ) في محاولة منه لحماية عمله من تبعات وتفاصيل هذه الأحداث وتأويلاتها السياسية الشائكة. ولإبقاء العمل في حيز التأويلات الفنية – الأدبية التي تضمن له قراءة محايدة وجمالية لا تقسره على الرضوخ لمقاسات القراءة المثقلة بالترميز السياسي. وهو محق في ذلك إذ لم يؤثر غياب مثل هذه التأرخة على سوية العمل وصدقيته الإبداعية.

رقابة عبد الله صخي على نفسه في الكتابة تكاد تضاهي رقابة خارجية على ما يكتب. فهو (وسواسي) كثير الحذر والحرص على التدقيق بجملته وعبارته الى الحد الذي يشكل فيه هذا الحذر عائقا أمام بوح شخصياته ومنلوغاتها وإرهاصاتها المفترضة. كنت أتمنى أن يكون أكثر ديمقراطية ليس مع هذه الشخصيات الشعبية الفريدة في ملامحها وحكاياتها، فقط، إنما مع نفسه أيضا فهو يتمتع بمزاج ساخر ولسان لاذع، ولا أدري لماذا غاب هذا عن أجواء الرواية ولم يضف شيئا من ظلال هذا المزاج على سياق العمل وشخصياته.

يمتلك عبد الله صخي حسا مرهفا في الكتابة ويتوفر على معرفة ممتازة باللغة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكاره، لكن هذي المزايا الايجابية، الصالحة تماما لكتابة شعرية، تصبح أحيانا ثقيلة الوطأة على مناخ الكتابة طويلة النفس.

ولمعرفتي الشخصية به اقدر أن عبد الله صخي أعطى عمله (خلف السدة) كل طاقته العاطفية وأضفى عليه طقسا روحيا حميما لكنه لم يتخلص، كما يبدو، من شبح القارئ وظروف القراءة. فالقارئ يصبح أحيانا عدو الكتابة إذا ما توقف الكاتب عند توجساته ومتطلباته واحتمالات جزعه.

لا أعرف كيف سيقرأ الآخرون رواية خلف السدة أو بأي انطباعات سيخرج القارئ منها، وأتمنى أن أعرف ذلك، لأنني قرأت الرواية بطريقتي الخاصة. فأنا أعرف الكاتب معرفة الصديق وأشترك معه في الذاكرة الطفولية نفسها التي كتب بها عمله، لهذا قد تبدو ملاحظاتي هذه غير محايدة أو شخصانية، لكنني أقر حقيقة أنني قرأت عملا ممتعا كنت أتمنى أن أكون أنا من كتبه.

محطات ثقافية

التخلف وفائض القيمة الثقافية في أمسية لرابطة حوار الثقافية

أقامت رابطة حوار الثقافية أمسية للناقد صادق ناصر الصكر الذي قدم ورقة نقدية بعنوان – كذبة بلزاك .. التخلف وفائض القيمة الثقافية – الأمسية التي ضيفتها قاعة مؤسسة الهدى للدراسات الثقافية شهدت حضورا كبيرا لأدباء ومثقفي المحافظة وأشار رئيس رابطة حوار الثقافية عامر الدفاعي الذي أدار الأمسية .»نحن بحاجة إلى حراك ثقافي لمحاولة إنتاج الوعي بشكل ينسجم مع المرحلة الجديدة التي تمر بها البلاد وتأثيرات انعطافاتها على المجتمع العراقي وبدءا يجب وضع الأصبع على مكان الخلل في التراث بنواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

واسط

معرض للكتاب والصور الفوتوغرافية

تحت شعار (بالكلمة والصورة نبني العراق الجديد) وبرعاية وزير الشباب والرياضة اقامت مديرية الشباب والرياضة في محافظة واسط وبالتنسيق مع دائرة الثقافة والفنون التابعة للوزارة معرضا فنيا شاملا للكتاب والصور الفوتوغرافية.

وقد حضر حفل افتتاح المعرض السيد لطيف حمد الطرفة ومجموعة من المثقفين والمهتمين بقطاع الشباب.

وشهد المعرض مشاركة واسعة من مديريات الشباب والرياضة في المحافظات الاخرى ودور النشر اضافة الى رابطة الكوثر النسوية حيث احتوى المعرض على كتب فنية وثقافية واجتماعية وصور فوتوغرافية عبرت عن زوايا خفية في حياة الشعب العراقي.

دبي

ملتقى للحوار الثقافي العربي الألماني

ينظم قطاع الثقافة في مؤسسة محمد بن راشد «ملتقى الحوار الثقافي العربي الألماني» في دبي يومي ٢٦ و٢٧ تشرين الثاني الجاري، حيث من المقرر أن يجتمع أكثر من ١٠٠ كاتب لمعالجة المواضيع الثقافية، ويأتي هذا الحوار كثمرة تفاهم ثقافية، حيث وجهت الدعوة إلى ٨٠ كاتباً من كبار المثقفين الألمان والعرب ليلتقوا وجهاً لوجه.

ومن المتوقع مشاركة أدونيس وفهمي جدعان و جلال أمين وغيرهم عن الجانب العربي ومن أهم المشاركين عن الجانب الالماني فولكر براون وأودولف موشغ.

ويتضمن ملفّ الحوار العربي الألماني مهمّات عديدة منها: التعاون في مجالات ترجمة الأعمال الأدبية والفكرية من الألمانية إلى العربية وبالعكس وتنظيم أنشطة وبرامج للتبادل الثقافي، كما سيسعى الملتقى الى إطلاق المؤتمرات وورش العمل الثقافية التي تسهم في تعزيز الحوار بين الجانبين و تبادل الخبرات والكوادر العلمية وتعزيز الدراسات والمبادرات التي تسهم في إقامة جسور التفاعل والحوار.

قطر

أكبر متحف اسلامي في العالم

دشنت قطر «اكبر متحف اسلامي» في العالم بتظاهرة احتفالية جرت امس الاول حضرها اكثر من الف ضيف من دول العالم على امل ان تصبح الدوحة عاصمة للثقافة في الشرق الاوسط.

ويقع المتحف الذي صممه الاميركي من اصل صيني يوه مينغ باي المعماري الذي صمم هرم اللوفر على بعد ٦٠ مترا من كورنيش الدوحة على جزيرة اصطناعية تم ردمها خصيصا.

ويضم المتحف الذي يتألف من خمسة طوابق ٨٠٠ قطعة فنية واثرية جمعت من ثلاث قارات بما فيها بلدان من الشرق الاوسط واسبانيا والهند تعود الى حقب بين القرن السابع الميلادي والقرن التاسع عشر.

وتمثل هذه القطع التنوع الذي يتسم به الفن الاسلامي وتضم كتبا ومخطوطات واعمالا من السيراميك والمعادن والزجاج والعاج والانسجة والخشب والاحجار الكريمة والقطع النقدية المصنوعة من الفضة والنحاس والبرونز.

ويعود اقدم هذه القطع الى ما قبل الإسلام واحدثها الى العهد الصفوي (١٥٠٢-١٧٣٦) مرورا بالعصرين الاموي والعباسي.